



أصول اللاأدرية في الفلسفة والعلم ومبرراتها Origins of Agnosticism in Philosophy and Science and their justifications

رحموني عبد الله

كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران 1. الجزائر، rahmouiabdallah@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/02/15 تاريخ القبول: 2023/03/30 تاريخ النشر: 2023/03/31

Summary

This is the first genre of research in which it appeared to the agnostic as a reaction of that astonishment and perplexity to experience of the human being with reason, beginning with his invocations of maidenness or beyond his perceptual capacity, and with no answer as well as catastrophic natural events or moral acts of human, such as evil. He presented the world and other phenomena.

Introduced agnostics from the atom and engaged them by researching from atom and explaining the world. We're showing within the value sciences, like David Hume's theorist of human intellect, and we're showing how they've continued to develop into biology science through Darwin's and into the animal Richard Dotkitz

Keywords: Agnosticism; Science; atheism

الملخص

يتناول هذا البحث الجذور الأولى التي ظهرت فيها اللاأدرية كردة فعل لتلك الدهشة والحيرة التي عايشها الإنسان العاقل بداية من طرحه أسئلة الطبيعية أو الغيبية الميتافيزيقية أو ما يفوق قدرته العقلية الإدراكية ولم يجد لها أجوبة، وكذا الحوادث الطبيعية الكارثية أو الأفعال الصادرة عن الإنسان اللاأخلاقية، كالشر المسلط على العالم وغيرها من الظواهر.

وقدم اللاأدرية بدءاً من الذريين وانشغالهم بالبحث في الذرة وتفسيرهم للعالم. إذ نعمل على إظهار الأسباب التي بعثت باللاأدرية داخل العلوم القيمة (الدين والأخلاق) كأبحاث ديفيد هيوم مبحث في الفاهمة البشرية! ونعرض كيف استثمر مفهومها في علم الأحياء من خلال تشالز داروين ثم عند عالم الحيوان ريتشارد دوكنز.

الكلمات المفتاحية: اللاأدرية؛ العلم؛ الإلحاد.



مقدمة:

إن حدة تشاوج الفكر في الحقبة اليونانية الهيلينية حول محاولة المدارس الفلسفية وأنصارها وضع أرضية إصطلاحية لبعض المفاهيم التي كانت المدينة اليونانية في ضرورة لها كالمسائل الأخلاقية حدود الخير والشر أو الفضيلة والرذيلة، ومدى قدرة الإله أو الإلهة على التحكم في الكون والخلق والإيمان والاعتقاد والتصديق بوجود آلهة من عدم وجودها وغيرها من الأسئلة التي هي ذات صيغة ميتافيزيقية. فخوض البحث فيها يفضي بكبار الفلاسفة أحيانا الى تبني موقف الصمت أو اللامبالاة، ويدفع بالمتجادلين إلى عدم الوصول الى معرفة حقة او يقينية، وبالتالي ينصاع كل منها إلى فكرة اللاأدرية وهي دخول مرحلة الظن أو الشك في تفصي الحقيقة التي استقها الفيلسوف المجادل والمجادل، والذي يقوم كل منهما بتعليق افكاره واحكامه ويسيطر عليهما موقف ارتياب في نمط الحوار المعرفي. حتى يصبح البحث في إدراك صدق المعرفة من كذبها شيء غير ضروري بمعنى دخول مجال اليأس المعرفي، اذ يكتفي الكل بما يعرفه أو التشكيك في ما عرض عليه، ذلك ما ادى الى حصول نوع من الانفصالية الفكرية بين زعماء بعض المدارس الفكرية وتلامذتهم اللاحقون، وعليه فإننا نجد أن اللاأدرية موعلة في القدم في الفكر الفلسفي، إذ بنيت على نزعة شكية تخدم كل شيء. إذ تبلورت في الفلسفة لتنتقل الى العلم عن طريق مناهجه التمحيصية في المعارف المكتشفة لتؤسس لمفهوم جديد سيطر على العلوم الطبيعية وعلوم الحياة، وعليه فإن هذه العلاقة تدفعنا إلى طرح الإشكال التالي:

ما أصول اللاأدرية ؟ وماهي المبررات والدافع الفكرية التي جعلت مفردة "اللاأدرية" لصيقة أو ملازمة للعلوم القيمية بما فيها الدين، الأخلاق ومتعاطمة ضمن



إجرائيات العلوم الطبيعية ؟ وماهي علاقة اللأدرية بالإلحاد كونه طفرة ذا صبغة علمية
في تفسيرات واقعية ؟

1. تعريف اللأدرية Agnosticism :

مصطلح ابتكره هوكسليه سنة 1869 يدل حالياً إما على عادة فكرية قولها اعتبار كل ميتافيزيقا "انطولوجيا" باطلة أو تافهة، وإما على مجمل المذاهب الفلسفية الشديدة الاختلاف في ما بينها على أصعدة أخرى أن تسلم بوجود مراتب من مراتب الحقيقة التي لا يمكن معرفتها بحكم طبيعتها (خصوصاً وضعية Positivisme أوغوست كونت، نظرية هربرت سبنسر). " (لاند، 2001، ص ص 39،40)
من خلال هذا التعريف نجد أن مفردة لأدرية هي مصطلح فلسفي بحث يتداخل مع هدف العلوم التجريبية وتحصيل معرفة حقة، وكأن به وسيلة يستعين بها المشتغل بمسائل الطبيعة.

يستخدم المصطلح في علم تجريبي آخر. في أواخر القرن التاسع عشر بدأ كل من مصطلح اللأدري واللأدرية يأخذ شهرته بفضل علم الأحياء الإنجليزي "ثي أتش هكسلي T.H.Huxley " قائلاً بأنه: «أدخل كلمة اللأدري لكي يشير إلى الأشخاص، (أمثاله) الذين يقرون بجهلهم التام إزاء العديد من الموضوعات التي يدعي الميتافيزيقيون واللاهوتيون سواء الارثوذكس منهم أو غير الارثوذكس معرفتها يقينية لا لبس فيها' (...) ينص مبدأ هكسلي على وجه التقريب بأنه من الخطأ القول بأن شخصاً ما يعرف أو يعتقد بأن فرضية ما صحيحة دون أدلة منطقية كافية غير ان تطبيق هكسلي لهذا المبدأ على كل من الإيمان بالله والإلحاد كان له في النهاية التأثير الأكبر على معنى المصطلح. مجادلاً بأنه ما دام أي من تلك المعتقدات غير مدعومة



بالأدلة بشكل كاف، فانه يتحتم علينا أن نعلق الحكم حول قضية ما إذا كان يوجد أو لا يوجد إله.» (موسوعة ستانفورد للفلسفة، 2021، ص 19)

إن فاعلية مصطلح "اللاأدرية" فَعَل في جانب اللاهوتي أي فيما يخص الاعتقاد بوجود الله أو من عدمه استنادا إلى حجة هكسلي وهي "أن اللاأدري هو الشخص الذي لديه اهتمام بفرضية أن هناك إله، غير أنه لا يعتقد بصحتها ولا بطلانها. ليس من المستغرب إذ أن يتم تعريف مصطلح اللاأدرية غالبا، داخل وخارج الفلسفة، ليس على أنه مبدأ أو أي نوع آخر من الافتراضات، ولكن كحالة نفسية لكون الشخص لاأدريا." ونطلق هذا المعنى النفسي للمصطلح سيكون من المفيد دون شك أن يكون لدينا هناك مصطلح يشير إلى جانب مصطلح اللاأدري 'المتشكك اللاهوتي ربما'." (موسوعة ستانفورد للفلسفة، 2021، ص 19)

2. جذور مصطلح اللاأدرية: Agnosticism

يجمع الفلاسفة أن اللاأدرية مصطلح موغل في القدم ويعود إلى حقبة الفلسفة اليونانية وخصوصا إلى النزعة الشكية التي برزت عند بيرون "Phyrrhon" 275-395 ق.م والذي يؤسس لمذهبه وفق مبدأ إننا لا يمكننا الأخذ بنظرتنا العقلية أو النفسية فهو يعلن "أن الأشياء سيان ولا فروق بينها، لا يقر لها قرار ولا سبيل إلى تمييزها، وأن أحاسيسنا وظنوننا ليست من ثم لا صادقة ولا كاذبة ... وأنه ينبغي أن نمتنع عن كل تصديق واعتقاد وأن نبقي بلا أحكام وبلا ميول، وأن نتمسك بحزم القواعد التالية: لا شيء موجود أكثر مما هو غير موجود، بل هو موجود وغير موجود، ولا هو موجود ولا غير موجود وبصدد النقطة التالية. يقول تيموس أن هذا الموقف سيترتب عليه أولا الصمت وثانيا اللامبالاة." (بريهي، 1982، ص 139)



نجد أن البيرونية في نشأة هذا المصطلح وكان به نوع من الندية في الرد على أنصار السفسطائية التي غلت في المحاججة والجدل الفلسفي حتى أن نتائج عملها ذلك انعكس على المجتمع اليوناني وبالتالي أصبحت الفلسفة أو الفعل الفلسفي هو مجرد لغو محشو بالعديد من المغالطات.

من خلال قوله نستشف أن بيرون يدعوننا إلى الشك في كل شيء حتى في ذواتنا وفي تحصيل المعارف وقبولها لكن السؤال الذي يطرح أن حالة التشكيك في كل شيء إلى أي طريق يريد فيرون إيصالنا إليه ؟ فتأسيس المذهب الشكي يقوم على الجدل بما أنه يتلقى الفكرة بالإيجاب، ثم يصيرها سلبيًا دون قبولها "كل قضية فهي تتحمل قولين ويمكن إيجابها وسلبيها بقوة متعادلة فالحكمة في العدول عن الإيجاب والسلب والامتناع عن الجدل والوقوف عند الظواهر فإن الشك لا يتناول الظواهر وهي بيئة في النفس ولكنه يتناول الأشياء في أنفسها." (كرم، ص 312) وعليه فإن هناك دعوة إلى اجتناب الأخذ بآرائنا النفسية وميولاتنا العاطفية في دراسة الأشياء، وعليه لا بد أن نتوجه إلى معرفة جوهرها وهنا نستخلص الجانب العملي التطبيقي في الفكر اليوناني.

كما أن دعوى اللاأدري في إيجاد الدليل العقلي والحجة العملية هي ضرورة استقصائية يقوم وعد تقبله للأفكار والآراء السائدة وعليه فإن "الوضعية الواقعية لهذه الحالة اللاأدري" لا يؤمن بالمرجعيات "مثل أية الأشياء. ببساطة هو موضوعة قديمة ملحد infidel. اللاأدري يقول هو لم يجد البرهان الجيد والصحيح." (HUXLEY, 1889, p 3) لذلك فإن موقفه من الأشياء غير متبدي لنا أو يعتبر غامضاً.



من خلال فهمنا لموقف اللاأدري خصوصا فيما يتعلق بوجود الله ومفهومه، يقرنا ذلك من حيث القناعة الفكرية الى نمط من الإلحاد والذي يعرف بالإلحاد السلبي، إذ أن " الملحد السلبي هو الذي 'لا يؤمن بالإله' من حيث ان الملحد الايجابي 'يؤمن بعدم وجود إله' وهناك فرق بين عدم الإيمان والإيمان بالعدم. لذا الملحد السلبي يقترب كثيرا من اللاأدري، وهو الذي إذا سألته هل الله موجود؟ أجابك: لا أدري." (فلو، 1438، ص 56) تتداخل اللاأدرية مع الإلحاد السلبي في أخذها بقضية 'عدم الإيمان بالله' بمعنى أن اللاأدرية هي إنكار فكري للألوهية أكثر من الإلحاد الإيجابي وعليه فإنها في صراع تام مع مفهوم الله.

كما أن تباين المفهومين من حيث المعنى "نميز عوضا بين الإلحاد واللاأدرية وفهم المصطلحين إذ نعمل على التمايز بين الإلحاد الإيجابي والإلحاد السلبي في التعريفات أحيانا. هذا الصيغة تفضل إنكار وجود كل الإله بينما أخيرا فضلت ان تكون في حالة عدم امتلاك اعتقاد كلي بالآلهة منذ كل التعريفات التي لا تقبل أي فروق بين الإلحاد (مثل الإلحاد السلبي) واللاأدرية بعض الأفراد عوض تعريف اللاأدرية في اشتقاق أخذ هذه المفردة. معني في اليونان القديمة اللاأدري هو أي شخص ليست له معرفة بالآلهة. يقترح التعريف بالإمكان يكون موحد وملحد الاثنان معا ويصدق كذلك على اللاأدرية." (Jonback, 2021, P 02)

نجد أن هناك دعوة صريحة بعدم الإيمان من أحكام نفسية صادرة عنا. إذ لا بد لنا أن نمنع التحقق في كوامن حدوث الحوادث والظواهر وكل ذلك هو مدعاة بحثهم في الأشياء القيمة والظواهر الطبيعية التي يعجز العقل الإنساني عن إدراكها فكان حينها المذهب الشكي كطريقة من الطرق لتحصيل قليل المعارف.



يبدو المذهب الشكي هو نوع من زعزعة الفكر السائد آنذاك وبالتالي يتمثله أصحابه بأنه "كان خلقيا أكثر منه منطقيا، وكان موجه لقيمة الأشياء بالإضافة إلى السعادة لا إلى قيمة المعرفة في ذاتها." (كرم، ص 312)

إذن فاللاأدرية تشخصت كنزعة الشكية في اليونان فيما عرضناه وترسخت في المذهب الآلي المادي لدي كل من ديمقريطس ولوقيبوس من خلال التفسير الطبيعي للكون، من حيث الخلاء وانتشار الذرات فيه والامتداد. فحركة الأجسام والأشياء هي في ذاتها مستمدة من طبيعة الذرات التي تتوغل إلى الأشياء، والتي تعد روح فإذا انقطعت ماتت الأجسام. ونجد إن ديمقريطس يضع الآلهة بمنزلة النفس الإنسانية فما يسري على النفس يسري على الآلهة حيث رأى "أنهم مركبون من جواهر كالإنسان إلا أن تركيبهم أدق، فهم لذلك أحكم وأقدر وأطول عمرا بكثير ولكنهم لا يخلدون فإنهم خاضعون للقانون العلم، أي الفساد بعد الكون واستئناف الدور على حسب ضرورة مطلقة ناشئة من 'المقاومة والحركة والتصادم'." (كرم، ص 42)

وعليه قد عرضنا في بحثنا إلى أصلين أساسيين للاأدرية في تاريخ الفلسفة الأول متعلق بالجانب الأخلاقي القيمي والوضع المجتمعي السائد في الحقبة اليونانية، والثاني متعلق بالجانب الطبيعي للبحث في نشأة الكون والأشياء والجواهر والكواكب والتي تعتبر ذات طابع علمي بحث، وبما أن تاريخ العلم هو متضمن داخل الفلسفة فكل هذه الاتجاهات قد أعادت للظهور أو البروز في الفلسفة الحديثة من خلال البحث في طبيعة الإنسان وفاهمته كما تجلى ذلك عند "دايفيد هيوم D. Hume" والذي يعتبر من أكبر الشكاك في العصر الحديث، وعلميا ففلسفة الطبيعة تولت الفيزياء الحديثة



مسؤولية البحث فيها وفي علم الأحياء تشالز داروين Ch. Darwine وريتشارد دوكنز Richard Dawkins.

3. انبعاث اللادرية في الفلسفة

نستكشف ظروف تطورها وبداية اعتناقها قيميا في المجتمع، وبداية البحث في بعض المسائل الأخلاقية كمفهوم الشر وحدوثه والخير والحرية والمطالبة بها كشرط من ضروريات الحياة العامة. وظهر الفكر التنويري في أوروبا نحو القضاء على سلطة الكنيسة وبناء دولة حديثة والقضاء على الإقطاعية والأنظمة الملكية. إذ أن اللادرية تنامت مع الحركات الاجتماعية وظهر مفهوم الفردانية، وبالتالي عنت "اللاأدرية" بالبحث في حدود المعرفة والخبرة الإنسانية ذلك تصيغه المعرفة والبدئية، والباحث عن اللادرية لا يمكن أن يمسك بحزم وصيغة إيديولوجية ideological position لكن تحتم في بحثها دائما في العجائب العلمية ومعرفة عمق الخبرة في معنى الحياة ويكتشف ضمنا بحث وفهم العالم حوله، وتعنى خصوصا بالتيارات العلمية وتعتنق اللايقينية في العلوم، إذ نجد اللاأدريون يرتاحون في اللايقينية ويتمتعون بمناقشتها. إن بعض مفكري الإلحاد والأدرية والمناهضين للإلحاد اهتمامهم باللاأدرية هو لتجنب المسؤولية أو الالتزام بمعلومات أكثر صلابة من الإلحاد، وفي حالة أخرى إنما يري الانتقال الانطولوجي للدين والروحية في الإلحاد إلى أبعد حد. وفي بعض الحالات الباحث في اللاأدرية ربما غالبا يفقد بعض الإيمان بالفوائد الاجتماعية أو العواطف التواصلية مع الأصدقاء والآخرين والعائلة. (Silver, 2013, P 117)

كما أن ظهور الاعتقاد في الولايات المتحدة الأمريكية مع الحركات الاجتماعية والدينية Movement dist ممثلة في أبرز مؤطريها البارزين Thomas Paine الذي



ركز كتاباته على الإيمان هو وزميله "بن يمين فرانكلين Benjamin franklin" و"توماس جيرفسون Jefferson Thomas" حيث دافعا عن أفكار "توماس بين"، لكن الأفكار المتعلقة باللاأدرية والاحاد كتبت وتم مناقشتها خلف الأبواب الموصدة، وذلك لأن المجتمع الأمريكي كان غامضا. لأن في تلك الفترة سيطرت حركات المفكرون الأحرار وهي خليط بين علماء لا يؤمنون بالله وبعض اللاأدريين وأصحاب الاتجاه الإنساني وعليه تجنب أن تطفو أفكار جهة غالبية للحركات الاجتماعية ووقوع انقسام مجتمعي فكري. (Silver, 2013, P 40)

إضافة إلى أن الأوضاع التي سادت أوروبا خصوصا من حيث التنظير الاجتماعي والسياسي للدولة كانت أرضية خصبة لتداول هذا المفهوم ولو بشكل غير علني في كتابات الكثير من المفكرين والفلاسفة أمثال "ماكس فيبر" منظر مصطلح علمنة الدولة Scularization, Intellectualization وهذا المفهوم وفق منظوره يتمحور في فصل الدين عن الدولة أو تحديد دور الكنسية، وبالتالي نزع عنها الصلاحيات التي كفلت لها لعدة قرون. أما ما يعرف بمحاولة التنظير الأخلاقي فقد تكفل به دافيد هيوم من كتبه "بحث في الفاهمة البشرية" والذي يتناول قيمة الأخلاق كمفهوم الخير، الحرية، الله وغيرها ساهمت بالتشكيك في القيم السائدة آنذاك والتي كانت ذات مرجعية ومعطيات دينية.

كل تلك العوامل سامت في اعتناق اللاأدرية تصور فكري تتحاشى مفهوم الله أو الحديث في المسائل الدينية والتي هي من مهام الكاهن والقسيس، وعلى منوال ذلك "كتب الفيلسوف الإنجليزي 'أنتوني كيني Anthony Kenny' قائلا بأن هناك فرضية لتبرير اللاأدرية agnosticism لكن ليس لتبرير الإلحاد السلبي أو الإيجابي لقد



أكد كيني على أن إظهار أنك تعرف شيئاً ما يتطلب جهداً أكبر من إظهار أنك لا تعرف، وهذا يشمل حتى الادعاء بأن تصور الإله غير متمسك لكنه قال: أن هذا لا يخلص اللاأدري من الورطة فالمتقدم للاختبار يمكنه تبرير عدم معرفته بإجابة أحد الأسئلة لكن هذا لا يمنحه القدرة على اجتياز الاختبار. "(فلو، 1438، ص ص 55 (56)

تلك الأحداث لم تقتصر على أوروبا فقط، بل انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وظهور تيار المفكرون الأحرار باعتبارهم بنية اجتماعية ليست دينية أو أمة مسيحية، بل هم متعددي الوظائف الاجتماعية من أمثال مدرسين رجال دين يجمعهم هدف واحد هو حماية حرية المجتمع. تلك الحماية هي لا تستثن المؤمنين أو غير المؤمنين أو المسيحي أو اليهوديين أو البوذيين أو المسلمين وغيرها من الديانات والقناعات الفكرية. كما أن الثقافة الموروثة حضارياً عن الحقبة الرومانية فيما يخص تجسيد الآلهة في منحوتات تزين المدن الدينية والكنائس أعطت رؤية للفرد جعلته يتساءل عن حقيقة الله شكلياً، هذا هو ذاك الإله العليم القدير والمتحكم في الكون ومصير الأفراد، كما يطرح سؤال خلق الهيئة لماذا هذه الهيئة وليست هيئة أخرى. وعليه فإن "الصنمية هي شر كما الإلحاد ربما اعظم أيضاً وهي تشوه وتحط من رفعة الطبيعة وتصور تلك الآلهة ضعيفة معنوية وأيضاً مقيتة إذ وجدت متعة في تجريب مدنس وفاضح في أية تسمية للديانات أو التقديس ويقعون أنفسهم في شرك ديني وخرافات لا أساس لها بذلك يغلقون قلوبهم وعقولهم عن الأخبار الصحيحة عن الألوهية الله بمقت الشور ولا يتوجب أن يبعث الأخطاء التي تتحكم في الرجل الخير التي تدنسه وتشمئز بالأخطاء. الله لا يميز استعمال القوة في هذا الطريق." (Fate, 1991, P 35)



إن اللاأدرية هي نتيجة ثلاث أسئلة فلسفية عقلية تداولها الفلاسفة لقرون لكن أعيد طرحها من القرن 15م إلى القرن 20م ولم يفصل فيها وهي مشكلة الشر التي هي مشكلة أخلاقية قيمية، وسؤال الحرية الذي هو قيمي وسؤال الله اللاهوتي. فالشر الذي وقع في كوننا من خلال الحروب التي يشنها بنو البشر ونتائجها من قتل وسبي واعتقالات معظمها غلفت بالدين ومباركة الله لها، فهل الله يصنع الشر لجزء من الإنسانية ويجنب إنسانية أخرى، الكوارث الطبيعة الزلازل، الأعاصير وغيرها التي تحدث ضرا ماديا ونفسيا بالبشرية، فالسؤال هل الاله هو المتحكم في الكون وتصميمه. أم أن الطبيعة هي من صممت ذاتها وفق ما تتبدى لنا على شاكلتها، وفق ذلك يستدل بهذه الفرضيات "لا يوجد إله ولا يوجد عقل أول ذكي في الكون. ربما يوجد إله، لكن لا يهتم بأمور الكون ربما توجد هناك آلهة لكن لا يوجد هناك تدبير إلهي يقود شؤون يوجد بشر خالديو الروح وبينما لا أبدية ومكافأة وعقوبة إلهية والروح البشرية لديها حصانة في الواقع." (Fate, 1991, P 39) ذلك إعلان صريح بأن الله تنازل عن دوره أو هو في راحة تامة عن تدبير الكون وشؤونه.

يسرد ريشترارد دوكنز رواية في إحدى المدن الأمريكية والتي عرفت بمستوى كبير من الانحراف الأخلاقي كالحانات والمتحولين جنسيا والمثليين والملحدين غيرهم من النزعات والتيارات المعاصرة، وفجأة ضرب زلزال كبير المدينة فالكمل فسر سبب ذلك يعود إلى تلك الأفعال، فخاطب أحد المسؤولين وكان محافظا دينيا مثالا عن تلك الولاية قائلا: «لا أحب أن أقول لسكان دوفر، بأنه لو حصلت كارثة في منطقتكم لا تلجأوا للرب لأنكم رفضتموه من مدينتكم ولا تتساءلوا لماذا لم يساعدكم عندما تبدأ المشاكل. هذا لو حصلت مشاكل، وأنا أقول بأنها ستحصل لكن لو بدأت تذكروا فقط بأنكم



فقط بأنكم صوتتم لإخراج الله من مدينتكم وفي حالة كتمك، لا تسألوه العون، لأنه ربما ليس هناك.» (دوكنز، 2009، ص 112) وعلى حد تعبير ذلك المسؤول إن الجانب الديني في تلك المدينة كان غائبا وربما حتى دور العبادة لم تكن موجودة التي ألف الأفراد زيارتها يوم الأحد، فمفردة "صوتتم لإخراج الله" وكأنه كائن تم طرده من محفلهم. والتصويت هو رمزية قبول هاته الفئات الاجتماعية في تلك البيئة إذن فالله لا يمكنه خصور مكان كهذا.

عودتنا لتلك المسائل الثلاثة كإشكاليات مفاهيمية وأنطولوجية حاول ديكارت إثباتها بأدلتها العقلية من خلال بحثه في الروح والتي هي قوة غير مدركة كالجسد وبه حاول اثبات وجود الله. كما أن إيمانويل كانط من خلال كتابه "ميتافيزيقا الأخلاق" اشتغل على جزئية إثبات وجود الله ببراهين نقدية بحثة في محاولة منه إلى استرجاع مفهوم الله بنظرة جديدة. وتناول مفهوم الخلود الذي كلما استحضر إلا تبادر لفاهمتنا مصطلحي الروح والجسد أيهما أحق بأن يخلد، وهذه تعتبر من المسائل الميتافيزيقية المطروحة في المسيحية مع تلازمة الجزاء والعقاب، الذي يحيلنا ضرورة إلى الواجب الأخلاقي مقرونا بالحرية والتي هي شرط أساسي في الفلسفة الكانطية، فالحرية هي قاعدة التكليف التي تؤسس للفرد أن يفعل أو لا يفعل.

أثير الكثير من الجدل حول تنظير د. هيوم D. Hume للشكوكية حديثا فبعض الفلاسفة يستندون إلى دعوى إيمانويل كانط 'E. Kante' في قوله: «إن هيوم أيقظني من سباتي» ويعود ذلك إلى تفنيد هيوم لمبدأ السببية في العلم من حيث الارتباط المتسلسل للأحداث وقوع ظاهرة ما. لكن على مستوى التنظير الأخلاقي القيمي خصوصا في موقفه من الإله فإن ذلك غير وارد أو مفهوم، وكان علينا البحث



في أراء هيوم ونظرة الفلاسفة المعاصرين لأفكاره، وعليه نجد هيوم "المدرسي يخاصم وضعية هيوم الدينية غير المفهومة في النقدية المعاصرة ونجاحاته في القرن 19 والأغلبية العظمى التي تفكر في ديانة هيوم الشكوكي ببراعة في الإلحاد. إذا استعمل الإلحاد فقط شعور صارم في الوقت الحاضر يفضل الشخص الواضح الذي يتبرأ من وجود الله والألوهية يمكن للمرء أن يستنتج أنه اليوم ليس ملحد، وعلى حد علمنا إلى الآن لا يوجد سجل لمثل هذا الانكار. اقترح مع ذلك فإن الاستنتاج عفا عليه الزمن ومضلل بشكل كبير لقواعد المعاصرة فإن هيوم ملحد بالفعل. إذ نحن نرى دائما بوضوح ينفي وجود الألوهية وهي غير ضرورية الكفاءة للملحدين المعاصرين مؤخرًا. بينما في الاختبارات الأخرى للإلحاد التي وضعها المناهضون للإلحاد في عصره، يسجل هيوم بشكل مثير للإعجاب. (Fate, 1991, P 40)

كما النظرة الحداثية لبناء الدولة أثرت بشكل في توجه "د. هيوم" لأن الصراع وقع بين المفكر والسلطة السياسية، والتي هي دينية بحثة. فمحاولة اقضاء الدين من الحياة الاجتماعية للفرد الأوروبي وإيجاد بدائل للتنظيم الأخلاقي هو انتصار لحرية المفكر والفرد، وعليه ظهرت العلمانية لتؤسس لما يؤمن به الأفراد انطلاقا من مفهوم الفردانية. وبالتالي أصبح الدين في موقف عدائي للمجتمعات المتحررة من قبضة الكنيسة، وبناء على ذلك "لا يمكن للدين أن يصنع أخلاق ممكنة. الدين يجعل الأخلاق مستحيلة أينما وجد ويتحدى إفناء الدين وإفساد معنوياته. هذا ليس فضاء لنري باختصار عمر الأعمال على أي أنه هيوم صنع هذه النقطة لكن يمكن أن يكون بأمان قال هذا للجمهور في بحث في الأخلاق والسياسة في سنة 1749 بعد وفاته، تم نشر حوارات تعني بالدين الطبيعي في 1779. لا أحد عمل مثل هيوم فشل في الجانب الإشكالي



في اعتقاد الديني أو الممارسة الديني وفي أغلب الأحيان ثم لفت انتباهه إلى الانحراف الأخلاقي للدين." (Fate, 1991, P 41)

يشيد أنصار اللاأدرية بالإرادة الحرة إذ لا إكراه في الاعتقاد في الأفكار. إذ لابد أن تؤسس وفق قضايا برهانية عقلية حتى أن عدم الوثوق بالإيمان يعد ذلك شيء عفوي لا يحتاج إلى تبرير ولا يعاتب عليه إطلاقاً، فالحرية مكسب ضروري لديهم "... إذا توجب علينا اختيار اعتقاداتنا بسهولة كاختيارنا بإلقاء تحية على صديق لنا في مفترق طرق بالشارع هذا لن يفعل شيء لمشكلة نقص البديهي لوجود الله. وتعني اللاأدرية ببديهياتها هي لا تفعل شيء للحب والاعتقاد يعني بالإحساس باللاأدرية العقلية تعلق الاعتقاد الديني للنقص البديهي الكاف." (Geetz, 2010, P 4)

4. طغيان اللاأدرية في العلوم الطبيعية:

اللاأدرية لم تبق محصورة في الجانب الفلسفي الديني خصوصاً، ونحن من تعريفها حديثاً مع كل أنصار الوضعية، وهربرت سبنسر Herbert Spencer والبيولوجي ثي أتشه كسلي T.H. Huxley لاحظنا أن لديها ارتباط بشق آخر من العلوم خصوصاً التجريبية بما فيها الطبيعية وعلم الحياة، فالبحت العميق في الطبيعة والحيوان والإنسان كأعظم مخلوق يقودنا للتفكير والملاحظة إلى أن هناك إبداع في الخلق Creation أو التصميم Design ، إذن هنا نحن أمام سؤال من الخالق أهو كائن فوق أم الطبيعة تخلق نفسها ؟

وفق الاتجاه الآلي بزعامة الديكارتية (Cartesian) الذي يقر أو يدعي أن الطبيعة لها عمل ميكانيكي بحث تقوم به لتأدية وظيفة ما، وعليه فإن الآلية في صورتها تنفى وجود من صنع الألة والذي هو الله. كما أن ظاهرة التولد التلقائي "التولد الذاتي



للحيات من كائنات غير حية" والتي هي عملية تدخل في تكاثر بعض الكائنات الطفيلية أو التي تعيش على سطح المياه كالمستنقعات كتشكل البكتيريا أو التغذية العشوائية لبيض البعوض فوق المياه هي ظواهر طبيعية تبعث ذهن إلى الحيرة والدهشة. وأكثر ما يثير الجدل هو ما نظره له "تشارلز داروين Charles Darwin" وفق أبحاثه مع علماء النبات وعلماء الحيوانات انطلاقاً مما لاحظته في أدغال الغابات من مشاهدة للحيوانات ودراستها دراسة علمية. وفق ذلك حدد لنا نظرية البقاء للأصلح أو البقاء للأقوى تماشياً مع مبدأ الانتخاب الطبيعي النمو والارتقاء وغيرها من المبادئ، كما أن فرضية أن أصل الإنسان قرد يطرح السؤال كيف للإنسان أن يتعزى عنه الشعر المكسو به ويبقى شيئاً منه فوق رأسه؟

تتضمن الطبيعة لتشكيل جو ملائم وفق نظم حياتية البعض بحاجة إلى الكل، فالنبات لا بد له من ماء وهواء، والكائنات الحية لا بد لها من غذاء ومكان تحتمي فيه، كل هي سلسلة طبيعية لا بد منها، الكل يكمل البعض ناهيك عن العمليات التي تحدث وهي محجوبة عن أعيننا ويمثل لنا العالم "واتشتار" بعض الظواهر النباتية، يقول: «هناك حوالي سبعين تفاعل كيميائي في عملية التمثيل الضوئي، أحد البيولوجيين قال 'تلك أعجوبة حقيقية' النباتات الخضراء تسمى بمعمل الطبيعة جميلة هادئة، لا تلوث، تنتج الأوكسجين، تنقى المياه وتغذي الكائنات الأخرى، هل حدث ذلك بالصدفة؟ هل هذا ممكن التصديق؟ لا يمكن تصديق ذلك ولكن تكرار المثال بعد الآخر لن يفيد شيء.» (دوكنز، 2009، ص 59) هناك إحياء بالانبهار والدهشة إزاء تلك الظواهر ودقة ترابطها، إذ لو حدث خلل ضمن هذه السلسلة لا تسبب في كارثة طبيعية فتركيبة



الأوكسجين ليتمكننا استبدالها بالكربون، وهو مركب أساسي ضمن ذرات الماء، إنها دقة التصميم فالسؤال من صمم المصمم؟

فالبيلوجي ريتشارد دوكنز من خلال كتابه "الجين الأناني The selfish gene" السلوك البشري يعود إلى خصائص الجينات التي يمكن أن تعري كل الأشخاص، وبالتالي، بعد أن أصر على أننا جميعا مخلوقات غير مختارة نتيجة لنوع جيناتنا. استنتج أن كل ما نستطيع فعله هو أن نتقاسم صفاتنا غير المحببة مع الكائنات أحادية الخلية. "(فلو، 1438، ص 110) وذلك يعني بأننا تحت رحمة الطبيعة والتي تحمل كوامن التغير والتشكل والتجدد والتطور، لكن أين ارادتنا الحرة التي تعبد طريقنا نحو الحقائق وتعمل على تحديد القيم وتنظر لحياتنا الاجتماعية، ماذا عن الله أمام جينة تشكل مادة حية.

انطلاقاً من مقولة الفيزيائي أينشتاين "رجل العلم هو فيلسوف ضعيف" فإن اشتغاله بالطبيعة لم يكن مؤمناً بالله لقد كان ملحداً على دين "باروخ إسبينوزا" Paruch Spinoza لأنه تأثر به من خلال قراءة كتبه، وقد كتب "أنا لست ملحداً، ولا يمكن أن اعتبر نفسي مؤمناً بوحدة الوجود. نحن في موقف طفل صغير دخل إلى مكتبة كبيرة مملوءة بكتب بلغات مختلفة. والطفل يعرف أنه يجب أن يكون هناك شخص ما كتب هذه الكتب. ولكنه لا يعرف كيف؟ هو لا يفهم اللغة التي كتبت بها هذه الكتب. الطفل يظن بنحو خافت بأن هذه المكتبة مرتبة بطريقة غامضة، لكنه لا يعرف ما هي هذه الطريقة. وهذا، كما يبدو لي، هو اتجاه أذكى شخص اتجه إليه. نحن نرى العالم منظماً بطريقة رائعة، ويتبع قوانين معينة، لكننا نفهم



بنحو خافت فقط هذه القوانين. عقولنا المحدودة تدرك القوة الغامضة التي تحرك هذه الكويكبات." (فلو، 1438، ص ص 135، 136)

لم ترد مسألة الخلق في علم الحديث والمعاصر لأن استعمالها يوحي بالاتجاه الدوغمائي الديني، وذلك ما يقلل من قيمة تجريبية العلوم التي لا تتوافق مع البراهين اللاهوتية، بل ورد مفهوم التصميم والذي هو مقرون بالفهم المادي للعالم والذي يبعث عن استخلاص أن هناك دقة فائقة في تركيبة الكون وفي ذواتنا، بالإضافة إلى حدوث الظواهر بشكل مضبوط. إذ أن "أعظم الكائنات المعقدة في الكون-البشر- هم نتاج قوى فيزيائية وميكانيكية" يعتبر ذلك دليل على طغيان الآلية في العلم الطبيعي ودحض حجة أن الله هو الخالق أو المتحكم في شؤون الكون والطبيعة.

وعليه فإن ذلك المفهوم هو يرتبط أساسا بالفيزياء الكونية وعلم الأحياء والهندسة الكونية، فحديثنا عن نشأة الكون على الشاكلة التي ينظر لها العلم خصوصا في طرح فرضيات كونية العوالم المتوازية والتفسيرات الأخيرة، بأن الكون هو مجرد عبارة عن أحبال فائقة يميز للعلماء طرح أن الكون هو من تصميم كائنات ماثلة لنا لكنها أعلى منا ولديها قوة خارقة تساعد على فعل التصميم، إذن فإن مفهوم الخالق الذي هو الله غير وارد في أذهان العديد من العلماء والفيزيائيين وهذا ما يعكس تداول مفهوم اللاأدرية في صيغة الحاد ينكر بانه يوجد هناك خالق.

كما أن مفردة الميتافيزيقا أبعدت في بداية العلم ومرحلة بحثه التجريبي لأن قضاياها فارغة من المعنى. بيد أن الرياضيات أسندت لها مهمة تعابير العلم وضبط نتائجه في لغة واضحة تلقى إجماع العلماء، وعليه فالتفسير الكهنوتي الخرافي في العلم لم يعد مطروح، وأصبح استقراء الظواهر تجريبا وفق ملاحظة مبدئية بغية تحصيل نتائج معرفية، وعليه



"المعجزات تسيء إلى قواعد قوانين الفيزياء، المعجزات أصبحت ملاحظة تجريبية وكل التقارير التجريبية الملاحظة لها أو غير ذلك هي شهادات بينة لكن هي أكبر بديهية موثوقة التي وجدت مع أن العلم لقرون - حريص على إجراء تحقيق وإعادة تكرار التحقق من الملاحظات. بينما يوجد حظ وأشياء شاذة لا يمكننا شرحها بعد، خصوصا فيزياء الكوانتم. يذهب العلم ببراعة تامة ضد المعجزات الدينية وبحكم تعريف أي دين فوق الطبيعي يطالب بالاعتناء بما هي الأكاذيب المنتمية إلى العالم التجريبي بالرغم إذا كانت تلك معجزة أو لا. معظم الديانات تشتمل بتفصيل التنبؤات الخاصة بالملاحظات التجريبية التي سنكون قادرين على القيام به بعد أن نموت. لكن هذا لم يحدث بعد قبل العلماء الذين هم على قيد الحياة وكل العلماء فقط، هم الذين على علم وإذا كانت هناك مثل هذه الملاحظة بعد الوفاة يعلم الجميع الآن إنهم قد يرفضون ادعاءات الدين أو على الأقل تخضع لتأويلات مختلفة." (Dejnozka, 2020, P 4.5)

تطرح فيزياء الكوانتم نظرية الفوضى أو الشواش (أو ما يعرف بنظرية الفراشة) والتي مفادها أن الجزيئات الميكروسكوبية هي شديدة الحركة وغير ثابتة ولا يمكننا مراقبتها لحظيا، فالكون هو مركب من ما لانهاية من الجزيئات، منها ما هو معروف ومنها ما هو افتراضي، إذ أن ادعاء هذه النظرية أن الكون يحتوي على النظام، ويفترض الفيزيائي ميشو كاكو أن "ما ندعوه تأثير الفراشة الذي يعنى أن مجرد اضطراب أجنحة فراشة يمكنه أن يسبب موجات صغيرة في الجو تنمو بدورها أن تتضخم إلى عاصفة. لذا إذا كان من الممكن لرफرة أجنحة فراشة أن تخلق عاصفة فإن الأمل بالتنبؤ بالطقس بدقة أمر بعيد المنال." (كاكو، 2017، ص 411)



يدل ذلك على أن الصدفة لها وقعها في كوننا فذلك التمثيل بما أن الجزئيات هي التي تشكل الطبيعة فمن الإمكان أن تعبث أصغر كائن موجود، وبالتالي لا نتوقع بأن هناك متحكم أو مسيطر على هذه الطبيعة، وعليه فإن الكائن العلوي غير وارد. وبمعنى آخر معتنقي اتجاه الصدفة في العلم لا يعتقدون بوجود إله. وعلى منوال هذا الاعتقاد سائد لدى علماء الفيزياء فمثلاً "مارتن ريس Martin Rees" يقول في الأكوان الموازية أن كل الأفكار حولها "تؤدي إلى توليفة رائعة بين علم الكونيات والفيزياء مما يعطي سنداً للأفكار التي كانت لدى البعض منا قبل عشرة أعوام لكنها تؤدي أيضاً إلى نتيجة غير عادية تتمثل في أنها قد لا تمثل الحقيقة الأعمق بل قد تكون محاكاة." (قسم، 2020) فما يعرضه "مارتن ريس" هو محصلة فرضيات نظرية جديدة في الفيزياء تقول بأن هناك العديد من الأكوان ما يماثل كوننا بالآلاف المرات ذو تصميم محكم ورائع. ففي هذا التفسير لا وجود لله لماذا؟ لأنه إن وجد فإن هناك ما يماثله كما يماثل كوننا أكوان عديمة. هذا الطرح من خلال استعماله لفظة محاكاة يستدعي ضرورة أن كوننا هذا غير أصلي وبأن هناك كون أكثر دقة وصرامة من الذي هو موجود. بالإضافة أن الإنسان ليس هو الكائن الخارق الذي أودع فيه العقل، بل هناك كائن أسمى منه وأذكى. إذن فالتصميم ينفي وجود الله كمصمم وكأن هذا اللفظ في العلم أكبر من قدرة الله في خلق الكون وخلق ذواتنا، وعليه فإن تلك المفردة تسقط معنى الله.

يقول "بول ديفيس Paul Davis" وهو فيزيائي غير مؤمن: «أن فكرة الأكوان المتعددة كثيراً ما يتم اعتمادها كحجة لإلغاء الحاجة إلى العناية الإلهية فمن السخرية أنها تقدم أفضل حجة علمية لوجود الله." (قسم، 2020) ذلك إثبات صريح



من ديفيس بأن العلم الفيزيائي بأدلته وبراهينه يتتعد عن طرح مسألة الله ككائن موجود ضمن تلك التوليفات المثبتة تجريبيًا.

نجد نفس التصور تبناه "جون بارو John Barrow" من "بول ديفيس" يقول: «بمجرد أن تأخذ على محمل الجد فكرة الأكوان توجد أو لا توجد يفتح أمامك منحدر زلق. لقد عرفنا منذ مدة طويلة أن الحضارات التقنية أفضل منا بقليل يدركون بمحاكاة أكوان يمكن أن تظهر فيها كيانات واعية بذاتها واعية بذات بعضها البعض لكن إذا كنا نعيش في واقع محاكاة يجب أن نتوقع حدوث خلل مفاجئ عرضي.» (قسم، 2020) نستشف من خلال ذلك أن حضارتنا هي متأخرة في فهم الكون كلياً لأن علماء الفيزياء وغيرهم همهم هو التحكم في أعماق الظواهر وتجاوز عوائقها وبالتالي دائماً يقومون بطرح السؤال عن الكون وفرضيات وجوده على هذا الشكل دون الحديث عن الخالق وإن تم ادراجه فإنه إله صغير ليس الإله القادر المقتدر. تصور "ستيفن هوكينغ Stephen Hawking" وفق عقله الرياضي والمؤمن والباحث في أصل الإنسان بيولوجيا والذي يتبنى موقف أن الإنسان ووجوده ونهايته مثلها مثل أي يرقة أو بيضة في الكون بدأت التشكل وتنتهي إلى الاندثار والتحلل، أما بحثه في أصل الكون يرى أن "الانطباع الطاعني هو أن هناك نظاماً. وكلما ازداد اكتشافنا بهذا الكون، ازدادنا قناعة بأن الكون محكوم بقوانين عقلانية لكن يطيل السؤال قائماً: لماذا وجد العالم؟ وان أحببت فبمقدورك أن تدافع عن الله ليكون هو الجواب عن هذا السؤال." (فلو، 1438، ص 133)



خاتمة:

خلاصة ما يمكن أن نجمله من خلال بحثنا في اللاأدرية في الفلسفة والعلم أنها سعت دائما في اقصاء أو تجنب افصاحها تبني فكرة الله ووجوده كذات فاعلة في كوننا هذا، خالق للذات البشرية والطبيعة ومتحكم في مصيرنا وإلى أين نؤول.

اللاأدرية كمفهوم هي متضمنة داخل الاحاد السلبي الذي ينكر وجود الله وبالتالي فتح باب العبثية أو العدمية في تاريخ الانسان. كما أن سيطرتها تجذرت داخل العلوم التطبيقية والمشتغلين بها وذلك نستشفه من اطلاعاتنا المتكررة على بعض العلوم الكونية أو الفيزيائية أو البيولوجية فهي لا تريد أن تستحضر مفهوم الله أو الإله لأنه أخلاقيا يلغي عملها. لأن العلم الحديث في مجمله لا يعترف بالأخلاق بالإضافة إلى التيارات العلمية المتحكمة في تطبيقات العلم وتوجهها فهذه التوجه أفرز لنا ممارسة تلغي الأطر التنظيمية والأخلاقية المؤسسة، وبالتالي طرحت موضوعات عديدة لا أخلاقية كالاستنساخ، الإجهاض، التحول الجنسي وغيرها من القضايا. إذن فالظروف الاجتماعية والسياسية والدينية المعاصرة إعادة بعث مفهوم اللاأدرية في مفهوم الإحاد الجديد الذي يلغي ضرورة وجود الله وانه ليس بحاجة إليه.

أخيرا نعرض مقطع للكوميديّة الأمريكيّة الملحدة "جوليا سويني فور" أصبحت ملحده لحظات الشك والارتباب واللاأدرية التي عاشتها تقول: «لقد جربت كل شيء .. ومن ثم ... حاولت أن اتجاهله ولكنه أصبح بشكل بسيط ليس هناك إله .. ليس هناك إله ... آه يا إلهي ليس هناك إله ارتعشت في كل جسدي .. أحسست وكأنني لا أعرف إذا ما كان بإمكانني عدم الإيمان بالله احتاج لإله ... لكني لا أعرف كيف أو من بالله بعد الآن، ولكن أن أكون ملحده فهذا شيء آخر بالمرّة.» (دوكنز، 2009، ص



(150) وعليه فإن الإلحاد أصبح أسلوب عقلي دلالي يدافع به العلماء التجريبيين عن آراءهم وحجهم العقلية وفي مجابهة العقول التي تؤمن بالمعجزات.
قائمة المراجع:

- بريهي، إ. (1982). تاريخ الفلسفة اليونانية والهيلينية. ط1. تر: جورج طرابيشي. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- دوكنز، ر. (2009). وهم الإله. تعريب: بسام البغدادي. أيار.
- فلو، أ. (1438). هناك إله. ط2. تر: صلاح الفضلي. العراق: العتبة العباسية المقدسة.
- قسوم، ن. (2020). الأكوان الموازية جدل بين العلماء. قناة يوتيوب.
- كاكو، م. (2017). مستقبل العقل الاجتهاد العلمي لفهم العقل وتطوره وتقويمه. تر: سعد الدين خرفان. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- كرم، ي. تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- لاند، أ. (2001). موسوعة لاند الفلسفية. تر: خليل أحمد خليل. المجلد الأول. ط2. بيروت باريس: منشورات عويدات.
- موسوعة س ف. (2021). الإلحاد واللاأدوية. تر: عبد الله عبد الحميد. مجلة حكمة من أجل اجتهاد ثقافي. 2021/02/25. 20: 20 سا.

Dejnozka, J. (2020). **Why I Am an Agnostic: A Skeptical Introduction to Philosophy of Religion**. Religious Studies. Available at: <https://www.researchgate.net/publication/336835052>

Fate, D. N. (1991). **Hume, Atheism, and the Autonomy of Morals**. Taula, quaderns de pensament (UIB). N16.

Huxley, T. H. (1989). **Agnosticism**. Available at: www.Abika.com.

Jonback, F. (2021). **Default Agosticism**. Faculty of Theology University Uppsala. Sweenden.



Silver, Ch. F. (2013). **Atheism , Agnostism, And Nonbelieve : A Qualitative And Quantative Study Of Type Narrative.** The University of Tennessee Chattanooga Chattanooga. Tennessee. USA.